

النوعي) في مقابل الظرف الصارم تصح على جنس التكاذيب، وتلامس العلاقة ما بين النص والحياة في مواجهة العي والموت. ومن هنا يكون الإبداع مسعى لتأكيد الوجود من خلال القول ومن خلال الاتصال، وعدم ذلك هو الموت. ومن الممكن استدعاء بعض المقولات النقدية حول ذلك، وهي مقولات تجعل الاتصال عملاً تبادلياً يحث على استنهاض الحسّ بالحياة ضد الموت والعدوانية والتدمير⁽²⁶⁾. ويلمح فوكو علاقة الإبداع بالموت منذ الملحمة اليونانية، وفي ملحمة ألف ليلة وليلة حيث يكون الكلام أداة لمغالبة الموت والتخلّص منه، ومن أجل الحياة، والاستشعار بها، في حين إن عدمه موت، ولو سكتت شهرزاد لكان في ذلك موتها، وحكايتها هي محاولة تتجدد كل ليلة لإبعاد الموت عن دورة الحياة⁽²⁷⁾.

وهذه (التكاذيب) هي مسعى لإقامة هذا النوع من الاتصال، وهي تأكيد للوجود وللحياة بإحداث اللغة وإقامة المشاركة الاتصالية. والأعرابيان هنا يتخيّلان ويرسمان العالم من حولهما ويقرآن الغائب ويلا مسان المفقود من حياتهما. وهي حياة صحراوية جافة تشير إليها عناصر الحكاية من خلال الليل والصيد والفرس. إنهما يحاولان استئناس المتوحش، وإطلاق الأسير من الداخل، ولذا فإنهما يدخلان في فعل مشترك فيتكاذبان عن وعي وعن إدراك لخيالية المقول. والواحد منهما لا يخدع الآخر، ولكنه يشترك مع الآخر في مخادعة الذات وملاهاة الظرف والخروج إلى المطلق، حيث لا قيد ولا حدود ولا حقيقة ولا نتيجة، وإنما كل ذلك تكاذيب تفعل في النفس فعلاً مؤقتاً يخرجها عن زمنها المجذب